



## الباب الثالث

### دور الدعاة في بيان أثر المحبة

#### على الفرد والمجتمع

#### الفصل الأول: دور الدعاة الإنمائي

##### المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية

##### المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم)

#### الفصل الثاني: دور الدعاة العلاجي

##### المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية

##### المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم)

#### الفصل الثالث: دور الدعاة الوقائي

##### المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية

##### المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم)



## الباب الثالث

### دور الدعاة إلى الله في بيان أثر المحبة

#### على الفرد والمجتمع

##### تمهيد

إن الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر تأثرت بواقع المسلمين، وأصبحت تقوم بحماية الإسلام والدفاع عنه، إضافة إلى الاهتمام بنشره، حيث تسربت الأمة في التقسيمات السياسية والجغرافية، وأصبحت تعيش العجز بسبب ذوبان الاستقلالية وضياع السيادة الإسلامية، وتشتت بعض المسلمين في بلدان العالم المخالف لهم عقيدة ومنهجها، وانخرطت الأمة في المنظمات الدولية، وتفرقت إلى أحزاب شتى مناطقية وإدارية وإقليمية وفكرية، بين محاولات العقلاء لنبذ الفرقة والحث على الاجتماع، وبين جنائيات السفهاء في الحروب والتزاع. وأوقع المسلمون بين جهل الأبناء لمفاهيم الإسلام وبين مكر الأعداء الساعين لإسقاط الإسلام والمسلمين من ميزان الحياة، بالتجهيل والتطبيع والتفكير والحرب والتدمير، وفي هذا الوضع برز الدعاة إلى الله ممثلين في حكام الدول المجتهدين وجنودهم، وعلماء الشريعة المخلصين وطلابهم، وأهل التخصصات الاجتماعية والعلمية والأدبية؛ برزوا لحماية الإسلام وظهر على الساحة الاجتماعية في أوساط المسلمين، من جعل أحوال المسلمين المريضة همهم، وجعل الدعوة إلى الله سبيله الأجدد وهدفه الأوحى، ونهض بالبيان والبلاغ مرتسماً طريق الهدى - صراط الله المستقيم - ومستمسكاً بالعروة الوثقى وداعياً إليها عقيدة وعبادة، ومنادياً بتهديب الأخلاق والسلوك، وإصلاح المعاملات، وسد الذرائع وإغلاق أبواب المفساد، والسعي لتحقيق المصالح العامة والخاصة. ولما للمحبة من أثر في أعضاء التكوين الاجتماعي بكافة مستوياته، من الفرد والأسرة والمجتمع، ولما لها من أثر في قوة المسلمين الاقتصادية والسياسية؛ فإن الدعاة إلى الله عز وجل هم الأجدد في جمع الكلمة وتحويل واقع المسلمين المؤلم إلى أمل قريب، بواقع عزيز ومستقبل مشرق، ومن سبل هذا التغيير بث المحبة والألفة بين المسلمين وإصلاح ما شجر بينهم، قال الله تعالى: (وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٨١﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) <sup>(١)</sup> ودور الدعاة هذا يكون بيان أثر المحبة من ثلاثة جوانب: السعي إلى إغناء المحبة، وعلاج مسببات ونتائج فقدانها، والوقاية من منحدرات تقوض أركانها، وتأتي أهمية المحبة لارتباط عزرة المسلمين وسعادتهم بها، عقيدة ومنهجها وعبادة وخلقا وسلوكا ومعاملة أورد المناوي:

(١) سورة فصلت: ٣٣ - ٣٥.

( قال القاضي: المحبة ميل النفس إلى الشيء<sup>(١)</sup> لكمال فيه، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا الله، وأن كلما يراه كمالاته في نفسه أو غيره، فهو من الله وإلى الله وبالله لم يكن حبه إلا الله وفي الله، وذلك يقتضي إرادة طاعته فلذا فسرت المحبة بإرادة الطاعة واستلزمت اتباع رسوله ﷺ )<sup>(٢)</sup> اهـ . وعليها ياذن الله تجتمع الكلمة وبها يتوحد الصف في شتى المجالات عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ( لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ )<sup>(٣)</sup> فإن المحبة من أعظم القوى الفاعلة في العلاقات الإنسانية، تجتمع بها وعليها القلوب وتعطف وترق، وعند فقدانها تنقلب الحال فتتفرق النفوس وتفترق، فإن إشاعة المحبة بين الناس سبيل الاجتماع، وإشاعة الكراهة سبيل الافتراق، والدعوة إلى الله كلها دعوة إلى الاجتماع، ولكن أي نوع هو من الاجتماع؟ هو الاجتماع على طاعة الله ورسوله ﷺ ونشر المحبة والخير في العالم، والإحسان في كل شيء؛ فالدعوة إلى الله واجب المسلم بما علم وعمل من الفقه بالدين، وواجب على من اختص بالدعوة إلى الله دراسة وعلمًا أو خُصَّ باسم الداعية إلى الله أو تُسبِت إليه الدعوة بما فضل من علم وخلق وجهد في سبيل تبليغ دعوة الله للناس، ومكانتها عالية المقام قال الله تعالى: ( وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ )<sup>(٤)</sup> فإن الإسلام الذي انتسب إليه المسلم يأمر بالعمل الصالح والقول الحسن وبهما تنتشر المحبة في معناها الحقيقي المعتدل؛ فإن العقول السليمة والنفوس المستقيمة تحب صلاح العمل وحسن القول، ويخرج عنهما وبهما كل عمل خبيث غير صالح، وكل قول قبيح باطل، ومنهما وبهما مع الإخلاص لله، تبرز الدعوة إلى الله قولًا حسنًا فاضلاً، وعملاً صالحاً متقبلاً، ويجب أن نعلم هنا أن المحبة عامل غريب التكوين، متذبذب النمو، متغير الحال، قوي البنيان في الرغائب، عالي الأركان في الرهائب، متطور البناء، سريع الهدم، دقيق التفاصيل وصعب التأويل، واضح الغاية، خطر السبيل وغامض الدلالة، متشعب الروابط، ضعيف الخيوط، قوي الفتل، سهل الحمل والقطع، قريب المنال، بعيد الرؤية، يقترب ويبتعد، عميق المعنى، يظهر ويختفي، جميل المبني، غريب المعنى، يفتقر به الغني ويغني به الفقير، سره في السرور والأحزان، له لذة وآلام، ولألمه لذة وللدته ألم . كل هذه المعاني لا تجتمع في عامل من العوامل

(١) قال ابن كثير في تفسيره: أي: ليس كخالق الأزواج كلها شيء؛ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له. وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، قلت: فينقطع المفهوم الخاطي من أنه جل وعلا (شيء) تعالى سبحانه علواً كبيراً.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥ هـ، ج ١، ص: ٢١٧.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم: ١٣ (١٢/١). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم: ١٧٩ (٤٩/١).

(٤) سورة فصلت: ٣٣.

المؤثرة في حياة الناس وعلاقاتهم الإنسانية والأسرية والتعبدية إلا في عامل المحبة ولا يجد محدود، ولا يُعرَف إلا بما عُرفَ، ولا يُعرَف إلا بمعناه، تدلُّ عليه أسبابه ويُلاحظُ بنتائجه وآثاره، به تصفو الحياة عندما يظهر معناه في أجهل وأكمل الغايات وهو حب الله، وكل شيء في الدنيا به متعلق وحاضر، وكل ما غاب عن العيون، باخبة تشعر به القلوب وتشهد به العقول، وفيها تجتمع المعاني المتوافقة في حقيقتها والمختلفة في أسبابها ونتائجها؛ فمن أجل هذا؛ ولما للمحبة من أهمية في حياة الناس، وجب فهم حقيقة المحبة الفهم الصحيح الكامل بفهم آثارها ومعرفة أسبابها وغاياتها وأوصاف مؤثراتها وآثارها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ كُلَّ مُحَبَّةٍ وَبَغْضَةٍ فَإِنَّهُ يَتَّبِعُهَا لَذَّةٌ وَالْمُفِي نِيلِ الْخُبُوبِ لَذَّةٌ وَفِرَاقُهُ يَكُونُ فِيهِ أَلَمٌ وَفِي نِيلِ الْمَكْرُوهِ أَلَمٌ وَفِي الْعَافِيَةِ مِنْهُ تَكُونُ فِيهِ لَذَّةٌ فَالْلَذَّةُ تَكُونُ بَعْدَ إِدْرَاكِ الْمَشْتَهَى وَالْمُحَبَّةُ تَدْعُو إِلَى إِدْرَاكِهِ؛ فَالْمُحَبَّةُ أَلَعْلَةُ الْفَاعِلَةِ لِإِدْرَاكِ الْمَلَائِمِ الْخُبُوبِ الْمَشْتَهَى وَاللَذَّةُ وَالسَّرُورُ هِيَ الْغَايَةُ) <sup>(١)</sup> فإن الداعية إلى الله يفهم قوة تأثير المحبة في الناس، وأنه كي يعتدل ميزانها ويزكو معناها وتستقيم آثارها يجب أن تضبط وترتكز على ركائز الشريعة، من تحقيق الغاية من الخلق وهي عبادة الله وحده، ومن تسخير الملكات والقدرات الشخصية والعامة في الخير كله، ومن الإحاطة بأحكام التكليف الشرعي في الحلال والحرام والبراءة من الشبهات وزلل الشهوات، وهذا ما تم التمهيد به لهذه الدراسة، عن ابن عباسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ( عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رَفَعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ؛ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ فَتَنْظُرْتَ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.... الحديث ) <sup>(٢)</sup>، والداعية الناجح هو الذي يبذل الجهد وفق التخطيط السليم مع مراعاة ظروف الحال للدعوة والمدعو فلا يأس ولا سأم، ولا يستعجل النتائج فتضعف المهم؛ بل ينظر بعين التفاؤل وإن لم تحصل نتائج ظاهرة؛ فقد قام بالواجب وأدى دوره، ولن يعدم الأجر على بذله وإخلاصه؛ فإن دور الدعاة إلى الله في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع يستلزم خطة وخطوات، وتحديدًا للأهداف في كل زاوية من زوايا المجتمع، وعليه فإنني في هذا الباب سأعرض دور الدعاة إلى الله في بيان ذلك، ضمن ثلاثة أدوار، يتم توزيعها حسب طبيعة دور الداعية في البيان المقصود والهدف المحدد المراد تحقيقه، وأجملها في ثلاثة أدوار، وكل دور يبنى على ثلاثة محاور الفرد والأسرة والمجتمع، وهذه الأدوار هي:

(١) جامع الرسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، ط ١، ١٤٢٢هـ، ج ٢، ص: ٢٤٦.

(٢) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، حديث رقم: ٥٤٩ (١٣٧/١).

أولاً: الدور الإنمائي: وهو بيان أصول وعوامل زيادة المحبة في العلاقات بين الناس.

ثانياً: الدور العلاجي: وهو بيان ودراسة أسباب الانحراف في المحبة ووضع خطة علاجية لتصحيح الحالة المرضية ومتابعة النتائج، إما بالاستمرار و إما بتصحيح مسار الخطة أو تعزيزها أو إلغائها وإبدالها حسب نتائج المتابعة.

ثالثاً: الدور الوقائي: وهو بيان أصول وعوامل الاعتدال في المحبة والترغيب فيها، والتحذير من أسباب ونتائج الانحراف عن منهج الاعتدال فيها. فإن هذا الباب من هذه الدراسة يتضمن الدور الإنمائي والعلاجي والوقائي للدعاة إلى الله في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع وفق ما ورد من نصوص الكتاب والسنة وما أثر عن صالح سلف الأمة وسوف أعرض هذا الدور في ثلاثة فصول وتحت كل فصل مبحثان وتحت كل مبحث مطلبان :

الفصل الأول: دور الدعاة الإنمائي في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع.

الفصل الثاني: دور الدعاة العلاجي في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع.

الفصل الثالث: دور الدعاة الوقائي في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع.

وكل فصل من هذه الفصول، يندرج تحته مبحثان، ومطلبان لكل مبحث، وفق ما يلي:

المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية (الحاكم والمحكوم )

## **الفصل الأول**

### **دور الدعاة الإنمائي**

**في بيان أثر المحبة على الفرد و المجتمع**

**المبحث الأول: المستوى الفردي و الأسري**

**المطلب الأول : العلاقات الفردية**

**المطلب الثاني: العلاقات الأسرية**

**المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي**

**المطلب الأول : العلاقات الشخصية العملية**

**المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي و الرعية**



## الفصل الأول

### دور الدعاة الإنمائي

#### في بيان أثر المحبة على الفرد والمجتمع

النماء يعني الزيادة والانتساع، وأصلها من ( نمي )، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: (النون والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة)<sup>(١)</sup>. وأورد ابن منظور في لسان العرب (النماء الزيادة نَمَى يَنْمِي نُمِيًا وَنُمِيًّا وَنَمَاءً زَادَ وَكَثُرَ)<sup>(٢)</sup> والحبة في إفشائها ونشرها وإشاعتها نمو في العلاقات الفردية والأسرية والاجتماعية، وهذا يعد غاية من غايات الدعوة، ويأتي دور الدعاة إلى الله في نمو المحبة بين الناس، بالبيان النظري والعملي سعياً لتحقيق التماسك في المجتمع المسلم، والمجتمع المسلم جزء من المجتمع العالمي، ويمثل القدوة والنبراس له، وينتشر الإسلام بأخلاق أهله؛ لما حظي به من شريعة عظيمة تميزت بكمالها وصلاحها لكل زمان ومكان، وبعث فيها خير المرسلين وخاتم النبيين، رحمة للعالمين، ومنهجه القرآن الكريم، الحفوظ من الزيادة والنقصان، وبه الهداية إلى الصراط المستقيم، ومن كمال هذا الدين الاهتمام بالفرد والأسرة والمجتمع في الحقوق والواجبات، فأعطى كل ذي حق حقه، وخص كل ذي صفة بما هو مستحقه، تحت مبدأ العدل والمساواة والمحبة، وبما يضمن سلامة العلاقات وقوتها، وتماسك المجتمع ووحدته. وعندما يقوى المجتمع المسلم سوف ينتقل كيانه عقيدة وعبادة وخلقا وسلوكا إلى المجتمعات الأخرى بموجب عملية التأثير والتأثر، ويجتمع الناس على الحب والسلام، وبذلك تتحقق غاية الدعوة بانتشار الإسلام، ومن أهم ما يجب التركيز عليه في دور الدعاة إلى الله تحسين العلاقات على المستوى الفردي والأسري والاجتماعي بما يؤدي إلى زيادة الحسن فيها بالمحبة والألفة، وهو ما أطلقت عليه هنا الدور الإنمائي. وأبينه وفق أبرز العلاقات على المستوى الفردي والأسري والاجتماعي كما يلي:

#### المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

المطلب الأول: العلاقات الفردية: علاقة الصداقة وعلاقة الجيرة

المطلب الثاني: العلاقات الأسرية: علاقة الزوجين وعلاقة القرابة

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٥، ص:

٤٧٩.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت: دار صادر، ط ١، مادة (نمي).

المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية: علاقة العمل الداخلية و علاقة العمل الخارجية

المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية<sup>(١)</sup>: العلاقة النظامية و العلاقة الإنسانية

## المبحث الأول: المستوى الفردي والأسري

### المطلب الأول: العلاقات الفردية: علاقة الصداقة وعلاقة الجيرة

أولاً: علاقة الصداقة

(١) بيان أصول علاقة الصداقة

إن من دور الدعاة إلى الله أن يبينوا للناس المعنى الحقيقي للصداقة، حيث ارتبط الاسم بالصدق وهو القوة في الشيء حين تماسكه، وقوة في القول لمخالفته الكذب، والصديقان أو الأصدقاء هم من اجتمعوا على مبادئ زادت علاقتهم بها قوة، وألفوا الحياة في نظام صداقتهم على محبة بينهم، ويجب أن يفهم أن هذه المبادئ هي أصول الصداقة، وبها يتحدد نوع الصداقة حيث هي على قسمين: صداقة صالحة وصداقة سيئة. فهل تستمر بها المجالسة وتحصل بها المؤانسة أو تنقطع لما فيها من المفاصد وسوء العاقبة، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً<sup>(٢)</sup>. ذكر الإمام مسلم هذا الحديث في (باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء) و قال النووي في شرحه: (فيه تمثيلة ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك، والجلس السوء بنافخ الكبر، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة، ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع، ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره وبطلته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة ومعنى (يحذيك) يعطيك - وهو بالحاء المهملة والذال - وفيه طهارة المسك واستحبابه وجواز بيعه وقد أجمع العلماء على جميع هذا ولم يخالف فيه من يعتد به<sup>(٣)</sup> إذن فإن الصداقة على الكفر أو الظلم أو الباطل يجب أن تقطع شرعاً وعرفاً؛ لسوء المبادئ التي قامت عليها فالصداقة فيها باطلة والخبة فيها مذمومة، و أما

(١) هي التي تستوجب المسؤولية في الرعاية بدءاً من صاحب الولاية العظمى في المجتمع ومن تحته، كل في مسؤوليته وحكمه أي علاقة (الحاكم والمحكوم) على العموم.

(٢) انظر: صحيح البخاري-كتاب الذبائح والصيد-باب المسك، حديث رقم: ٥٥٣٤ (٩٦/٧). وانظر صحيح مسلم-كتاب البر والصلة والآداب-باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، حديث رقم: ٦٨٦٠ (٣٧/٨).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ١٦ج، ١٧٨.

الصدقة التي تقوم على الحق ونصرتة، وعلى الخير ونشره فإنها صداقة صالحة يجب أن تنمو وتساعد على النماء، وهذا هو مطلب العقلاء والأتقياء عن أبي ثابت: «أن رجلاً دخل مسجد دمشق، فقال: اللهم آنس وحشتي وارحم غربتي وارزقني جليساً حبيباً صالحاً، فسمعه أبو الدرداء فقال: لئن كنت صادقاً لأنا أسعد بما قلت منك، سمعت رسول الله يقول: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} قال: الظالم يؤخذ منه في مقامه فذلك الهم والحزن {وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ} يحاسب حساباً يسيراً {وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} فذلك الذين يدخلون الجنة بغير حساب»<sup>(١)</sup>. وقد تتضح حقيقة الصداقة للأصدقاء في الدنيا فتسمو بينهم المحبة لما قامت عليه محبتهم من التقوى، وقد يكونوا على باطل فلم تنكشف لهم حقيقة صداقتهم وأنها قامت على السوء، فتظهر الحقيقة يوم القيامة وتنقلب الصداقة إلى عداوة، ويتبرأ بعضهم من بعض، قال الله تعالى: (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)<sup>(٢)</sup> ومن ذلك نعلم أن دور الدعاة الإنمائي بيان هذه الحقيقة كي تنمو المحبة المحمودة بين الناس من خلال صداقتهم، وبفرحوا بها في الدنيا والآخرة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»<sup>(٣)</sup>.

## ٢) بيان عوامل نماء المحبة في علاقة الصداقة

صداقة النبي ﷺ وأبي بكر الصديق مضرب المثل في المحبة ونمائها بين الأصدقاء، بنيت على الحق، وكان الناس في جاهلية تقوم حياتهم على الشرك والظلم، وازدادت العلاقة بينهما في الإسلام فكان أبو بكر أول من آمن من الرجال برسالة النبي ﷺ ودافع عنه حين كذبه قومه، وناصره وأعد رواحل الهجرة وهاجر معه، قال الله تعالى: (إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)<sup>(٤)</sup>، يمشي أمام النبي ﷺ كلما تذكر الرصد ويمشي خلفه كلما تذكر الطلب، حبا ووفاء، وافتهما معية الله بالحفظ والنصر، جاهد معه وبذل ماله كله، وزوجه ابنته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ومن واجب الدعاة إلى الله ضرب الأمثال في الصداقات الصالحة والصداقات السيئة وتبصير الناس بعوامل نماء المحبة الصادقة بينهم، والتي تبني عليها الصداقة، ومن أهمها: المناصرة في الحق بالنفس والمال، والإيثار والوفاء والعلم، عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ بُرَيْدَةُ عَشَاءً فَلَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا صَوْتُ رَجُلٍ يَقْرَأُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: تَرَاهُ مُرَائِيًّا؟ فَأَسْكَتْ بُرَيْدَةُ فَإِذَا رَجُلٌ يَدْعُو. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢١٦٩٧ (٢٧/٣٦) تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

(٢) سورة الزخرف: ٦٧.

(٣) انظر: سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب من يؤمر أن يجالس حديث رقم: ٤٨٣٥ (٤٠٧/٤)، وانظر: سنن الترمذي - كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٢٣٧٨ (٥٨٩/٤). حسنه الألباني.

(٤) سورة التوبة: ٤٠.

بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، أَوْ قَالَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْقَابِلَةِ خَرَجَ بُرَيْدَةُ عِشَاءً، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا صَوْتُ الرَّجُلِ يَقْرَأُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَقُولُهُ مُرَائِيًا؟ فَقَالَ بُرَيْدَةُ: أَتَقُولُهُ مُرَائِيًا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا. بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، لَا. بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ. فَإِذَا الْأَشْعَرِيُّ يَقْرَأُ بِصَوْتٍ لَهُ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْأَشْعَرِيَّ، أَوْ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أُعْطِيَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ دَاوُدَ. فَقُلْتُ: أَلَا أَخْبِرُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلَى فَأَخْبِرُهُ فَأَخْبِرْتُهُ، فَقَالَ: أَنْتَ لِي صَدِيقٌ أَخْبَرْتَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحَدِيثٍ<sup>(١)</sup>. والحديث المشترك بين الأصدقاء في حقيقة الحياة وواقع الحال أحد عوامل نماء الصداقة، وتركيز الدعاة على صفاء الحديث بين الأصدقاء، وآثاره الإيمانية؛ يولد التماسك ويزيد المحبة بين الناس، وكذلك الحديث عن الرؤى المنامية؛ لأن الصديق حبيب لصديقه، وغالبًا يحدث المرء صديقه وقريبه بما يرى من خير في منامه، وكلاهما يسعى لخير الآخر، ويتنفي الحسد بينهما، وكلاهما يفرح بفرح الآخر، عَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ، وَهِيَ عَلَى رَجُلٍ طَائِرٌ مَا لَمْ يُحَدِّثْ بِهَا، فَإِذَا تُحَدِّثَ بِهَا سَقَطَتْ. قَالَ وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَلَا تُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا لِنَبِيٍّ أَوْ حَبِيبٍ<sup>(٢)</sup>.

### ثانيا: علاقة الجيرة

#### (١) بيان أصول علاقة الجيرة

علاقة الجار بالجار علاقة مميزة عن غيرها، محكومة بحكم المكان، حيث المتزل به السكن والمبيت والمطعم والمشرب والمتاع وقد يضم الأهل والمال والأولاد، وقريب الدار كأنه معك في الدار، ولا يفصل بينكم إلا الجدار، تجتمع الذوات مدخلا ومخرجا، وتسمع الأصوات صباحا ومساء، ولا يمكن أن تستمر هذه العلاقة بمسمى الجيرة الحسنة إلا بشيء واحد هو أصل العلاقة بين الجيران ألا وهو الإحسان، قال الله تعالى في كتابه الكريم: (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ وَآبِنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)<sup>(٣)</sup> ومن دور الدعاة إلى الله بيان هذا الأصل والتركيز عليه، وعلى ما يتفرع عنه؛ فمن أصل الإحسان تتفرع أصول

(١) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٢٩٥٢ (٤٥/٣٨). تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب الرؤيا عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في تعبير الرؤيا، حديث رقم: ٢٢٧٨ (٥٣٦/٤). صححه الألباني.

(٣) سورة النساء: ٣٦.

أخرى كثيرة من أهمها: تلمس الحاجات، والمشاركة في الأفراح، والمواساة في الأحزان، ومساعدة الجار لجاره فيما يصلح حاله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرَزَ خَشْبَهُ فِي جِدَارِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَاللَّهِ لَا رَمِينَ بَهَا بَيْنَ أَكْتَاْفِكُمْ. أورد ابن بطال في فهم هذا الحديث قول العلماء بقوله: ( واختلف العلماء في تأويل هذا الحديث، فقالت طائفة: هو على الوجوب إذا لم يكن في ذلك مضرة على صاحب الجدار، وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور <sup>(١)</sup> ) وقالت طائفة غيرهم، هو محمول على الندب وحسن المجاورة لا على الوجوب.

## ٢) بيان عوامل نماء المحبة في علاقة الجيرة

أصل الشيء ما كان عليه، فما زاد وفاد، كان له القبول والانقياد، وما نقص وهدم، وجب إصلاحه أو الفرار منه قبل الندم، وأصل علاقة الجيرة الإحسان، ولكم تسامع الناس أن قرر فلان ألا يترك داره الصغيرة من حسن جيرانه، ولكم تسامع الناس أن فلانا ترك كبير داره من أذية جاره، وأذية الجار محرمة في الإسلام؛ لمخالفتها النصوص الصريحة الموصية بالإحسان إلى الجار، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ( مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ ) <sup>(٢)</sup>. ومتى تبدل الجار لجاره بالنفاق بدل الإيمان، وبمرض القلب بدل سلامته، والتخويف بدل الأمن، فقد قطعت حبال الوصال والجيرة، قال الله تعالى: ( لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ) <sup>(٣)</sup> وواجب الدعاة بيان عوامل النماء لعلاقة الجار لجاره والحث عليها، وهي العوامل المناقضة لعوامل الهدم وسوء الجيرة، فمن عوامل نماء المحبة بين الجيران: الإيمان بالله وسلامة القلب من الضغائن والأحقاد، والأمان من الأذى والضرر، ولكل عامل منها أسباب موصلة إلى المحبة بين الجيران في أحسن صورها منها: الدعوة إلى الاستقامة على أمر الله، والتعاون على البر والتقوى، وإفشاء السلام وإطعام الطعام، والزيارة والهدية وغيرها. عن أنس رضي الله عنه قال: ( كان لرسول الله ﷺ جار فارسي طيب المرقعة، فأتى رسول الله ﷺ ذات يوم وعنده عائشة فأومأ إليه بيده أن تعال، وأومأ رسول الله ﷺ إلى عائشة، أي وهذه، فأومأ إليه الآخر هكذا بيده، أن لا، مرتين أو ثلاثا. وزاد قال رسول الله: لا، ثم عاد يدعوه، فقال رسول الله: وهذه، قال: نعم، في الثالثة، فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله <sup>(٤)</sup>. وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ

(١) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ج ٦، ص: ٥٨٦.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب الوصاة بالجار، حديث رقم: ٦٠١٥ (١٠/٨). وانظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب الوصية بالجار والإحسان إليه، حديث رقم: ٦٨٥٤ (٣٧/٨).

(٣) سورة الأحزاب: ٦٠.

(٤) انظر: سنن النسائي - كتاب الطلاق - باب الطلاق بالإشارة المفهومة، حديث رقم: ٣٣٨٢ (٤٧٠/٦). صححه الألباني.

النَّبِيِّ ﷺ مَرَّ بِبَعْضِ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا هُوَ بِجَوَارٍ يَضْرِبْنَ بِدِفْهِنَّ وَيَتَعَنَيْنَ، وَيَقْلُنَ: نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ... يَا حَبْدًا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لِأَحِبُّكُمْ<sup>(١)</sup>. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ « يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِحَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ<sup>(٢)</sup> شَاةٍ<sup>(٣)</sup> ». ومن واجب الجيرة التعاون على ما فيه المصلحة، روى مسلم في صحيحه موقف عمر بن الخطاب وجاره في التناوب على جلب المصلحة بينهما: قَالَ: ( وَكَانَ لِي جَارٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَكُنَّا نَتَنَاقَبُ النَّزُولَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَآنْزِلُ يَوْمًا فَيَأْتِينِي بِخَبَرِ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَآتِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ<sup>(٤)</sup> ) والشواهد كثيرة على بيان حسن معاملة الجار لجاره بما ينمي المحبة بين الجيران فتتولد المحبة في المجتمع وهذا البيان جزء من دور الدعاة إلى الله.

## المطلب الثاني: العلاقات الأسرية: علاقة الزوجين وعلاقة القرابة

### أولاً: العلاقة بين الزوجين

#### ١) بيان أصول علاقة الزوجين

إن العلاقة بين الزوجين ترجع في أصلها إلى أصل الخلقة الآدمية، حيث خلق الله آدم بيديه من تراب و خلقت زوجته من ضلع آدم الأيسر<sup>(٥)</sup>، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبَتْ ثَقِيمُهُ كَسَرَتْهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ)<sup>(٦)</sup>. فهو قَبْلُهَا فِي الْخَلْقِ، وهي جزء منه، يحصل بينهما الألفة والأنس والتعاون والجماع، ويتم بمشيئة الله وقدرته النسل من البنين والحفدة والذرية، قال الله تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ)<sup>(٧)</sup> ومن

(١) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب النكاح - باب الغناء والدف، حديث رقم: ١٨٩٩ (٩٢/٣). صححه الألباني.

(٢) وَالْفَرَسُ فَرَسٌ الْبَعِيرُ وَهِيَ مَوْنَةٌ وَجَمْعُهَا فَرَاسٌ وَفِي الْفَرَاسِ السَّلَامَى وَهِيَ عِظَامُ الْفَرَسِ وَقَصَبُهَا ثُمَّ الرَّسْغُ فَوْقَ ذَلِكَ ثُمَّ الْوَطِيفُ ثُمَّ الْوَطِيفُ مِنْ يَدِ الْبَعِيرِ الذَّرَاعُ. وَيُقَالُ لِمَوْضِعِ الْفَرَسِ مِنَ الْخَيْلِ الْحَافِرُ ثُمَّ الرَّسْغُ وَالْفَرَسُ مِنَ الْبَعِيرِ بِمِثْلَةِ الْحَافِرِ مِنَ الدَّابَّةِ، قَالَ: وَرِمَا اسْتَعِيرَ فِي الشَّاةِ، قَالَ ابْنُ السَّرَاجِ: النُّونُ زَائِدَةٌ لَأَمَّا مِنْ فَرَسَتْ. وَالَّذِي لِلشَّاةِ هُوَ الظِّلْفُ وَفِي الْحَدِيثِ لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ فَرَسِينَ شَاةَ الْفَرَسِ عِظَمٌ قَلِيلٌ اللَّحْمُ وَهُوَ خُفُّ الْبَعِيرِ كَالْحَافِرِ لِلدَّابَّةِ. انظر لسان العرب لابن منظور (٣٢٢/١٣).

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب لا تحقرن جارة لجارتها، حديث رقم: ٦٠١٧ (١٠/٨). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره، حديث رقم: ٢٤٢٦ (٩٣/٣).

(٤) انظر: صحيح مسلم - كتاب الطلاق - باب في الإيلاء، حديث رقم: ٣٧٦٧ (١٩٢/٤).

(٥) قال ابن حجر في الفتح ( قوله فإنهم خلقن من ضلع بكسر الصاد المعجمة وفتح اللام وقد تسكن وكان فيه إشارة إلى ما أخرجه بن إسحاق في المبتدأ عن بن عباس أن حواء خلقت من ضلع آدم الأقصر الأيسر وهو نائم وكذا أخرجه بن أبي حازم وغيره من حديث مجاهد ) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢٥٣/٩).

(٦) انظر: صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء. - باب باب خَلَقَ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ، حديث رقم: ٣٣٣١ (١٣٣/٤).

(٧) سورة النحل: ٧٢.

دور الدعاة إلى الله البيان لأصل العلاقة بين الزوجين، من حيث التكافؤ ومن حيث الوظائف والصفات و الحقوق والواجبات، قال الله تعالى: (وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) <sup>(١)</sup> قال ابن كثير في تفسيره: (أي: ولهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن، فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف) <sup>(٢)</sup> وقال يرحمه الله، أيضا: (وقوله: {وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} أي: في الفضيلة في الخلق، والمترلة، وطاعة الأمر، والإنفاق، والقيام بالمصالح، والفضل في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّاتٌ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} <sup>(٣)</sup> فإن أصل العلاقة الزوجية كما يجب أن يكون فيه القيام بالواجبات وأداء الحقوق، وجب فيه على الزوج العدل بين الزوجات حين التعدد، وأداء المهر، قال الله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا) <sup>(٤)</sup> وأصل العدل هنا فيما يمكن العدل فيه، أما القلب وهو اه في محبة الزوجات فيصعب العدل فيه، عن عائشة، «أن النبي كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: اللَّهُمَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تُلْمِنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ» <sup>(٥)</sup>. أورد ابن حجر في الفتح: (( قوله باب العدل بين النساء ) ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء أشار بذكر الآية <sup>(٦)</sup> إلى أن المنتهى فيها العدل بينهما من كل جهة، وبالحديث إلى أن المراد بالعدل التسوية بينهما بما يليق بكل منهما فإذا وفي لكل واحدة منهما كسوتها ونفقتها والإيواء إليها لم يضره ما زاد على ذلك من ميل قلب أو تبرع بتحفة، وقد روى الأربعة وصححه ابن حبان والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل، ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك، قال الترمذي: يعني به الحب والمودة كذلك فسره أهل العلم <sup>(٧)</sup> والمحبة بين الزوجين فطرية المنشأ، و عوامل الجذب فيها مشتركة بين الزوجين ويغلب فيها، أنوثة المرأة وصفاتها، ومعرفة حق الرجل وفضله، وهذه المحبة من الشرع التصريح بها، دون حرج أو إقلال؛ لأنها حق

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص: ٦٠٩ - ٦١٠.

(٣) سورة النساء: ٣٤.

(٤) سورة النساء: ٣ - ٤.

(٥) انظر: سنن الترمذي - كتاب النكاح عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في التسوية بين الزوجين، حديث رقم: ١١٤٠ (٣/٤٤٦). ضعفه الألباني.

(٦) سورة النساء: ١٢٩.

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة،

١٣٧٩ هـ، ج ٩، ص: ٣١٣.

فطري وشرعي، عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما «أنه قال يا رسول الله: من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قال: من الرجال؟ قال: أبوها»<sup>(١)</sup>. وإعلان هذه المحبة بين الزوجين؛ تزداد به العلاقة قوة، ومما لاشك فيه أن في إخفائها خلل، وعندما تكون المحبة من طرف واحد يحصل الزلل و تنكسر حلق الصلة والمحبة بين الزوجين؛ ويزداد الخلل والزلل عندما تنعكس الصورة بعلو المرأة على الرجل في الأمر والنفقة والقوامة؛ لمخالفته الفطرة، ولمخالفته الشريعة، عن قيس بن سعد رضي الله عنه قال أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فقلت رسول الله أحق أن يسجد له، قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك. قال «أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له». قال: قلت: لا. قال «فلا تفعلوا لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق»<sup>(٢)</sup>.

## ٢) بيان عوامل نماء المحبة في علاقة الزوجين

إن دور الدعاة إلى الله في بيان أثر المحبة في حياة الزوجين، يكون بإيضاح الأساليب والوسائل التي يمكن للزوجين القيام بها لإنماء المحبة بينهما، ويمكن إجمالها في الأساليب والوسائل النظرية والعملية التي يمكن بها تفعيل عوامل المحبة في العلاقة بين الزوجين وهي: السكن والمودة والرحمة، قال الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)<sup>(٣)</sup> فإن المنطلق لتكوين علاقة سوية في المجتمع يكون بإنفاذ مشروعية الزواج وتحقيق أهدافه، وتكوين علاقة محبة بين الزوجين وأصلها أداء الحق الفطري وتحقيق الرغبة الحاصلة من الجماع، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح<sup>(٤)</sup>. والحديث بين الزوجين من أمتع الأحاديث، إذا قام على كلمات المحبة والثناء والقصص المعبرة عن الوفاء والخير، عن أبي قتادة رضي الله عنه يقول: وأنا كنت لأرى الرؤيا ثم رضىني حتى سمعت النبي ﷺ يقول: (الرؤيا الحسنة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، وليتفل ثلثًا، ولا يحدث بها أحداً فإنها لن تضره)<sup>(٥)</sup>. والأصل الشرعي في علاقة الزوجين

(١) انظر: سنن الترمذي - كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ - باب فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٣٨٨٥ (٥/٧٠٦). صححه الألباني.

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب النكاح - باب في حق الزوج على المرأة، حديث رقم: ٢١٤٢ (٢/٢٠٩). تحقيق الألباني: صحيح، دون جملة القبر، ضعفها.

(٣) سورة الروم: ٢١.

(٤) انظر: صحيح البخاري - كتاب النكاح - باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، حديث رقم: ٥١٩٣ (٧/٣٠).

(٥) انظر: صحيح البخاري - كتاب التعبير - باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر به إلا ولا يذكرها، حديث رقم: ٦٩٨٣ (٩/٣٠). وانظر: صحيح مسلم - كتاب الرؤيا، حديث رقم: ٦٠٤٠ (٧/٥١).



العدل والوفاء والرحمة والتقوى، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صفة حج النبي ﷺ، قال ﷺ في خطبة عرفة: ( فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُوهُ. فَإِنْ فَعَلَنْ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ )<sup>(١)</sup>. ومنه نعلم أن علاقة الزوجين عندما تقوم المحبة وتسود المودة والرحمة حياتهما، فإنه بذلك تنتف العقبات الموصلة للمحاسبة وإقامة العقوبات الشرعية. كما أن محبة الزوجة لما يحب الزوج، شعار الحب، عَنْ عَائِشَةَ، أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يُنَحِّيَ مُخَاطَ أَسَامَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: دَعْنِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَفْعَلُ قَالَ: يَا عَائِشَةُ أَحْبَبِيهِ فَإِنِّي أَحْبَبُهُ »<sup>(٢)</sup>. بل الحنو من المرأة على الولد، ورعاية ما يملك الزوج من المال والمتاع؛ يعلي درجات الفضل في شخصها والمحبة لزوجها، وترتفع في مقام الفضل بين النساء، عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «خيرُ نساءٍ رَكِبَ الإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ - وقال الآخرُ: صالحُ نساءِ قُرَيْشٍ - أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرَعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ» ويُذكرُ عن معاويةَ وابن عباسٍ عن النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>. ولقد كان النبي ﷺ يبحث عما يسرُّ أهله، وهذا من أهم العوامل الإنمائية في علاقة الزوجين، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: دَخَلَ الْحَبَشَةُ الْمَسْجِدَ يَلْعَبُونَ فَقَالَ لِي: يَا حُمَيْرَاءُ أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَامَ بِالْبَابِ وَحِجَّتُهُ فَوَضَعْتُ ذَقْنِي عَلَى عَاتِقِهِ فَأَسْنَدْتُ وَجْهِي إِلَى خَدِّهِ قَالَتْ: وَمِنْ قَوْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ أَبَا الْقَاسِمِ طَيِّبًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حَسْبُكَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ، فَقَامَ لِي ثُمَّ قَالَ: حَسْبُكَ فَقُلْتُ: لَا تَعْجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَتْ: وَمَا لِي حُبُّ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ يَبْلُغَ النِّسَاءُ مَقَامَهُ لِي وَمَكَانِي مِنْهُ.<sup>(٤)</sup>

## ثانيا: العلاقة بين القرابة

### (١) بيان أصول علاقة القرابة

قال الله تعالى: ( وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا )<sup>(٥)</sup> الأصل في القرابة النسب المتصل من الأم أو الأب؛ مما يفرع العلاقة ويوصل القرابة، كالأخوة والأخوات، وما علا منه كالأجداد والجدات وما نزل منه كالأبناء والبنات والأحفاد. وما تفرع عنه من جهة الأب من الأعمام والعمات

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب الحج - باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٠٠٩ (٣٩/٤).

(٢) انظر: سنن الترمذي - كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ - باب مناقب أسامة بن زيد رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٨١٨ (٦٧٧/٥). حسنه الألباني.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب النفقات - باب حفظ المرأة زوجها في ذات يده والنفقة، حديث رقم: ٥٣٦٥ (٦٦/٧).

(٤) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب عشرة النساء - باب إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللعب، حديث رقم: ٨٩٠٢ (١٨١/٨). وانظر: صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب أصحاب الحراب في المسجد، حديث رقم: ٤٥٤ (٩٨/١).

(٥) سورة الفرقان: ٥٤.

وأبناءؤهم، وما تفرع عنه من جهة الأم من الأحوال والخالات وأبناءؤهم وأصل القرابة أيضا ما جاء عن طريق المصاهرة بالزواج، ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، ولكل من هؤلاء حسب قرب نسبه حق عظيم من الصلة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَعَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَهُوَ لَكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَافْرُؤُوا إِن شِئْتُمْ {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ} <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>. وعن مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ إِنَّ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ) <sup>(٣)</sup>. ودور الدعاة إلى الله بيان هذا الأصل - النسب والرضاعة والمصاهرة - للناس وزرع المحبة بينهم عن طريقه وحثهم على أداء حقه وهو الإحسان، قال الله تعالى: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ) <sup>(٤)</sup>.

## ٢) عوامل نماء المحبة في علاقة القرابة

عوامل نماء المحبة بين القرابة كثيرة، ووسائلها متعددة، يشملها لفظ الإحسان المناقض للإساءة، ويدفع إليها الأجر العظيم في صلة الرحم، عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَبِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) <sup>(٥)</sup>. وهذه الصلة تكون بالبر والزيارة وبذل المعروف والدعاء والوفاء والنفقة، عَنْ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ أَلَا أَحَدْتُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قُلْتُ بَلَى يَا أُمُّهُ، قَالَتْ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ أَنْفَقَ عَلَى ابْنَتَيْنِ، أَوْ أُخْتَيْنِ، أَوْ ذَوَاتِي قَرَابَةٍ، يَحْتَسِبُ النَّفَقَةَ عَلَيْهِمَا، حَتَّى يُغْنِيَهُمَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ يَكْفِيَهُمَا، كَاتِنًا لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ. <sup>(٦)</sup> وأمر النفقة عظيم في نمو المحبة بين الأقارب وفي الأجر، وهي في حق الوالدين حال الحاجة واجبة وحال اليسر من البر، عن سنان بن سلمة، أن رجلاً من المهاجرين تصدق بأرض له عظيمة على أمه فماتت وليس لها وارث غيره فأتى النبي ﷺ فقال: إِنَّ أُمِّي كَانَتْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَعْزَمِهِمْ عَلَيَّ، وَإِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَيْهَا بِأَرْضٍ لِي عَظِيمَةً فَمَاتَتْ وَلَيْسَ لَهَا وَارِثٌ غَيْرِي فَكَيْفَ تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ بِهَا؟ قَالَ: «قَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَكَ أَجْرَكَ وَرَدَّ عَلَيْكَ أَرْضَكَ فَاصْنَعْ بِهَا

(١) سورة محمد: ٢٢. وكمال الآية قال الله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ)

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب من وصل وصله الله، حديث رقم: (٥/٨) ٥٩٨٧.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب إثم القاطع، حديث رقم: (٥/٨) ٥٩٨٤.

(٤) سورة النساء: ٣٦.

(٥) سيق تخريجه، انظر: فهرس الأحاديث.

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند النساء رضي الله عنهن، حديث رقم: ٢٦٥١٦ (٤٤/١٣٤). حسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب. تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده ضعيف.

كيف شئت»<sup>(١)</sup>. والنفقة على الأقارب تجمع بين الصلة والصدقة، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ عَنْ زَيْنَبِ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بِمِثْلِهِ سَوَاءٌ قَالَتْ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: تَصَدَّقْنِ وَلَوْ مِنْ حُلِيكَنَّ، وَكَانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَيْتَامٍ فِي حَجَرِهَا، قَالَ: فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ: سَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيْجِزِي عَنِّي أَنْ أَنْفِقَ عَلَيْكَ، وَعَلَى أَيْتَامِي فِي حَجَرِي مِنَ الصَّدَقَةِ؟ فَقَالَ: سَلِي أَنْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَنْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الْبَابِ حَاجَتُهَا مِثْلُ حَاجَتِي، فَمَرَّ عَلَيْنَا بِلَالٍ، فَقُلْنَا: سَلِ النَّبِيَّ ﷺ، أَيْجِزِي عَنِّي أَنْ أَنْفِقَ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجَرِي؟ وَقُلْنَا: لَا تُخْبِرُ بِنَا، فَدَخَلَ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: مَنْ هُمَا؟ قَالَ: زَيْنَبُ. قَالَ: أَيُّ الزَّيَانِبِ؟ قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: نَعَمْ لَهَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ.<sup>(٣)</sup>

ومن دور الدعاة إلى الله الإنمائي للمحبة، البيان العام والخاص لحقوق القرابة الموصل للمحبة بينهم، بدءاً من أعظم الحقوق بعد حق الله وهو حق الوالدين، وحق الوالدين عظيم، فهما سبب وجود الأولاد، ولهما الفضل في الحمل والرضاعة والعناية والرعاية والنفقة والعطف والحنان والتربية، ورد الجميل لهما حق وواجب على الأولاد شرعاً وعقلاً، وهذا الحق يجمع في الحب والطاعة في المعروف، والبر بجميع أشكاله والوفاء بجميع صوره والدعاء لهما والنفقة عليهما، والرعاية والعناية بهما في كل حال، وحفظ ودهما بعد الممات. وكما للوالدين حقوق فإن للأولاد حقوق على الوالدين تقوم على الجبلة والفطرة من اختيار الاسم الحسن و الحب والرحمة ونسيكة تذبح عنه (العقيقة) شكرًا لله على هبته الولد، عَنْ أُمِّ كُرْزٍ<sup>(٤)</sup> الْكَعْبِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْعَقِيقَةِ. فَقَالَ: عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافَأَتَانِ وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ، قُلْتُ لِعَطَاءٍ<sup>(٥)</sup>: مَا الْمُكَافَأَتَانِ؟ قَالَ: الْمَثَلَانِ. قَالَ حَجَّاجٌ<sup>(٦)</sup> فِي حَدِيثِهِ: وَالضَّانُّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَعْزِ وَذُكْرَانِهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِنَاثِهَا، قَالَ: وَنَحِبُّ أَنْ يَجْعَلَهُ سَوَاءً رَأْيًا مِنْهُ<sup>(٧)</sup>. وللأولاد حق النفقة وحسن التربية بالعلم والأدب والعناية بالصحة البدنية والنفسية والتوجيه الاجتماعي. وقد أمر الشرع الأقارب بمشاركة بعضهم البعض شؤون الحياة، وفق ضوابطه الحكيمة في الحث على الصلة والمحبة، قال الله

(١) انظر: سنن النسائي الكبرى - كتاب الفرائض - باب ميراث الولد المنفرد، حديث رقم: ٦٢٧٨ (١٠٠/٦). ورواه الطبراني في المعجم الكبير.

(٢) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود وزوجته زينب الثقفية رضي الله عنهما.

(٣) انظر: صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر، حديث رقم: ١٤٤٧ (١١٦/٢) ..

(٤) أم كرز الخزاعية ثم الكعبية، قال ابن سعد: المكية. أسلمت يوم الحديبية والنبي ﷺ وآله يقسم لحوم بدنه فأسلمت ولها حديث في العقيقة أخرج أصحاب السنن الأربعة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٢٨٦/٨)

(٥) عطاء بن أبي رباح المكي، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٦) حجاج بن محمد أبو محمد الأعور المصيصي، أحد رجال السند في رواية هذا الحديث.

(٧) انظر: مسند الإمام أحمد - من مسند القبائل، حديث رقم: ٢٧٣٧٢ (٤٥/٣٧١) ..

تعالى: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ<sup>(١)</sup> لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا<sup>(٢)</sup>، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أَنْكَحَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها ذاتَ قَرَابَةٍ لَهَا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَهْدَيْتُمُ الْفَتَاةَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَرْسَلْتُمُ مَعَهَا مَنْ يُعْنِي، قَالَتْ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْأَنْصَارَ قَوْمٌ فِيهِمْ غَزَلٌ، فَلَوْ بَعَثْتُمُ مَعَهَا مَنْ يَقُولُ: أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ، فَحَيَّانَا وَحَيَّاكُمْ<sup>(٣)</sup>). وكلما كان أولي القربى في تعاون على بر وتقوى بينهم؛ نمت المحبة بينهم، وكلما طغت المصالح الخاصة على مصلحة القرابة ضعفت المحبة، وقد تبدل إلى عداوة، وأخطر العداوات ما يكون بين القرابة؛ لكثرة اللقاء بينهم وإمكانية تسلسلها في الأجيال القادمة. ووجب على الدعاة إلى الله هذا البيان لأنه من أعظم ما أمر الله به أن يوصل.

## المبحث الثاني: المستوى الاجتماعي

### المطلب الأول: العلاقات الشخصية العملية

تختلف أنواع الأعمال وموارد الإنتاج ومصادر الاستهلاك باختلاف العصور وأحوال الناس فيها، ولكن في كل زمن يتم الاتفاق بين أهل الزمان غالبا على مبادئ ونظم للعمل، وعلى أماكن يمارس فيها العمل، ويجتمع فيها العاملون، ومنه تقوم بينهم علاقة داخلية في مقر العمل ومكانه، وعلاقة خارجية بين من يأتي إليه لقضاء أمر ما وبين من هو داخله وأيضا تكون علاقة خارجية بين أرباب الصنائع والأعمال أثناء انتقالهم من مكان إلى آخر في البلد نفسه أو غيره لصالح العمل. وعليه تم التقسيم هنا علاقات العمل إلى قسمين:

(١) علاقة العمل الداخلية.

(٢) علاقة العمل الخارجية.

### أولاً: علاقة العمل الداخلية

#### (١) بيان أصول علاقة العمل الداخلية

يقوم العمل على غط التوزيع المتكامل لمراحل الإنتاج بين الأفراد المشاركين في العمل حسب نظام العقد أو الشراكة، وبه يتم تحديد المسؤوليات والزمن والأجور، ويقوم العمل أيضا على التخصص أو القدرة التي

(١) سورة النور: ٦١.

(٢) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب النكاح - باب الغناء والدف، حديث رقم: ١٩٠٠ (٩٣/٣). ضعفه الألباني.

يتمتع بها كل فرد من أفراد العمل، وبه يكون الإنتاج، ومن هذا المنطلق تقوم علاقة العمل بين العاملين، ويجمع بينهم عدة أمور تشكل هذه العلاقة وهي:

(١) نظام عقد العمل أو الشراكة. (٢) زمن العمل. (٣) طبيعة العمل ونمط توزيعه. (٤) الصفات الشخصية لكل فرد من العاملين. (٥) مكان العمل أو مقره.

ومن العوامل الهامة الجامعة التي يتحقق بها الوفاق وسلامة العمل وزيادة الإنتاج عامل المحبة بين العاملين، الذي به يُضَفَى على العمل روح التعاون بين أفرادهم، ويحافظ على قوة إنتاجه.

والإخلاص في العمل ثمرة المحبة، وهو القوة الدافعة لطلب الرزق الحلال، والحفاظة على الإنتاج، ولقد ضرب الله مثلا أصحاب الجنة في خسران العمل الفاقدة لمحبة الخير، قال الله تعالى: ( فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿١﴾ أَنْ أَغْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾ )<sup>(١)</sup> حصلت المشاركة بينهم في علاقة عمل مرتبط بزمن وحصل الإنتاج المادي، ولكن العمل فقد الإنتاج الحقيقي الذي يكون مقرونا بمحبة المال والخير فيه، فخسروا إنتاجهم لفقدان الإخلاص والمحبة الخيرية، قال الإمام الطبري: ( يقول تعالى ذكره: فتنادى هؤلاء القوم وهم أصحاب الجنة. يقول: نادى بعضهم بعضا مصبحين يقول: بعد أن أصبحوا ( أَنْ أَغْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ ) وذلك الزرع ( إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) يقول: إن كنتم حاصدي زرعكم ( فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ) يقول: فمضوا إلى حراثتهم وهم يتسارون بينهم ( أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ) يقول: وهم يتسارون يقول بعضهم لبعض: لا يدخلن جنتكم اليوم عليكم مسكين )<sup>(٢)</sup>. وبين الله تعالى حال ما لهم متزوع البركة قال الله تعالى: ( إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١﴾ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴿٢﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿٣﴾ فَأَصْبَحَت كَالصَّرِيمِ ﴿٤﴾ )<sup>(٣)</sup> ومن دور الدعاة إلى الله تعالى بيان أثر المحبة في علاقة العمل من حيث أصول المعاملة الحسنة والنية الصالحة في كسب الرزق الطيب، والعمل بنصح وإخلاص، ومنه الحفاظة على زمن العمل وإنتاجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ( إِنْ خَيْرَ الْكَسْبِ كَسْبُ يَدَيِ عَامِلٍ إِذَا نَصَحَ )<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة القلم: ٢١ - ٢٢.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ٢٣، ص: ٥٤٦.

(٣) سورة القلم: ١٧ - ٢٠.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد - مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٨٦٩٠ (٣١٧/١٤). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: إسناده حسن.

## ٢) عوامل نماء المحبة في علاقة العمل الداخلية

مقر العمل في الزراعة أو الصناعة أو الأمن أو الصحة أو الإدارة أو غيرها من الأعمال هو محور اللقاء الذي تنتج عنه علاقات بين العاملين في المجال نفسه، والمحبة بينهم محور هام في الإنتاج وفي المحافظة على نظام العمل، كلما كان العاملون محققين لهذه القيمة بينهم، أدت إلى تحسين العلاقات وصلاح الأعمال، ومن دور الدعاة إلى الله بيان عوامل نماء المحبة في علاقات العمل الداخلية؛ لأن بها قوة في تماسك المجتمع، وقوة في اقتصاده، وفي ذلك إعزاز للإسلام والمسلمين. ومن عوامل نماء المحبة في علاقات العمل الداخلية: (١) العدل في توزيع مهمات العمل والأجور المستحقة عليه. (٢) الحصة الزمنية الكافية في الإنتاج والمقتدرة من العمال (٣) وضوح لوائح وأنظمة العمل لجميع العاملين. (٤) وجود رئاسة عادلة متابعة مشرفة تحسن التخطيط، وبصيرة في تقديم الحوافز وتقدير التقصير، وإنفاذ لوائح وأنظمة العمل. وبهذه العوامل يشعر جميع العاملين بقيمة العمل ومحبه، وتقوى بينهم المحبة، ومن أكبر العقبات في نجاح علاقات العمل الظلم للعاملين المخلصين وهضم حقوقهم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْقُهُ<sup>(١)</sup>. ومن أكبر المحبطات للإنتاج السخرية بمن يعمل بجهد، ومكافأة المتهاونين بالعمل تحت وطأة العلاقات والمصالح الخاصة الخارجة عن نطاق العمل، والأكبر خطراً منه أخذ الرشاوى والاتفاق على الاختلاس، فمن واجب الدعاة إلى الله تبصير رؤساء الأعمال بالعدل في رئاستهم، وتحذير المقصرين من حرمة مكسبهم، وحث العاملين بجهد على المطالبة بحقوقهم وفق أنظمة العمل في بلاد العمل، و الأخذ بموقف الأنبياء والمرسلين، العمل بإخلاص وصبر، واحتساب الأجر من الله والثقة بوعده الذي وعد المتقين من عباده، قال الله تعالى: (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)<sup>(٢)</sup> وفي حق نوح عليه السلام وقومه، قال الله تعالى: (وَيَصْنَعُ الْفُلَّ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ)<sup>(٣)</sup> وهل كانت له العاقبة؟ نعم. قال الله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٥﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ)<sup>(٤)</sup>.

## ثانياً: علاقة العمل الخارجية

### ١) بيان أصول علاقة العمل الخارجية

تبادل المنافع بين الناس أوجب أن تقوم بينهم علاقة الأخذ والعطاء وعلاقة الاتفاق والمفاوضة وعلاقة الدين والمعوضة وعلاقة الرهن والودائع والأمانات، وعلاقات تمتد مع تمدد أنواع الأعمال وأقسام العمل

(١) انظر: سنن ابن ماجه - كتاب الرهن - باب أجر الأجراء، حديث رقم: ٢٤٤٣ (٤/١٤٠). صححه الألباني.

(٢) سورة القصص: ٨٣.

(٣) سورة هود: ٣٨.

(٤) سورة العنكبوت: ١٤ - ١٥.

الواحد وارتباطها بمصالح الناس في العيش و الاكتساب، مما ظهر عنه علاقات بين العاملين في المجالات المتعددة وبين المجتمع، وعلاقات بين العاملين أنفسهم خارج نطاق ومقر العمل في سفر أو تنقل بين فروع العمل أطلقت عليها هنا علاقات العمل الخارجية، ومن دور الدعاة إلى الله بيان أصول علاقات العمل الخارجية وأثر صفة المحبة فيها، وأنها تقوم على عدة أصول:

(١) ميثاق العمل والتذكير به دائماً. (٢) الحكم بحكم الله. (٣) حمالة المسؤولية على من تحملها (٤) الاستفادة من الخبرات السابقة (٥) العذر والاعتذار لصاحب الحق. (٦) إظهار الصدق بشواهد. (٧) الإصرار على أداء الحق وأخذه بالمعروف. (٨) الحرص على حسن العلاقة والارتباط.

ومن دور الدعاة إلى الله في بيان هذا الخال أن يضربوا المثل ويستشهدوا بالقصص في توثيق أصول علاقات العمل الخارجية، مما يدفع التفكك والفساد المناقض لصفة المحبة بين الناس، ومن جميل وأحسن الشواهد قصص القرآن الكريم وأمثله، وهنا أعرض لحة في هذا الجانب، خرج إخوة يوسف عليه السلام في سفر ومهمة عمل وطلباً للرزق، بعد ميثاق مع أبيهم في المحافظة على شقيق يوسف عليه السلام، ويارادة الله وتدبيره، وقعت خطة يوسف عليه السلام عليهم في أخذ أخيه منهم، وحينها وقف الأكبر موقف الأصاله في العلاقة بينه وبينهم وبين أبيه وبين المجتمع مؤكداً الميثاق وأصول العلاقة في شخصه، قال الله تعالى في حقهم: (فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لىَ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَّابَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿١٠١﴾ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٠٢﴾) <sup>(١)</sup> قال القرطبي في تفسيره: ( تضمنت هذه الآية جواز الشهادة بأي وجه حصل العلم بها، فإن الشهادة مرتبطة بالعلم عقلاً وشرعاً، فلا تسمع إلا ممن علم، ولا تقبل إلا منهم، وهذا هو الأصل في الشهادات) <sup>(٢)</sup>

## ٢) بيان عوامل نماء المحبة في علاقة العمل الخارجية

أمر الله تعالى بالوفاء بالعهود والمواثيق أمراً عاماً، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) <sup>(٣)</sup> وهذا الأمر يشمل العهد بتحقيق الإيمان بالله والعبودية له سبحانه وتعالى، والعهود والعقود التي بين الناس فيما يخص تنظيم حياتهم، وكما أمر سبحانه بالوفاء في العقود أمر أيضاً بالعدل فيها، قال الله تعالى: (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) <sup>(٤)</sup> قال الإمام الطبري في تفسيره: ( يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا

(١) سورة يوسف: ٨٠ - ٨٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ، ج ٩، ص: ٢٤٥.

(٣) سورة المائدة: ١.

(٤) سورة المائدة: ٨.

بالله وبرسوله محمد، ليكون من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم<sup>(١)</sup> فإن علاقات الناس بعضهم ببعض لا تتم بصورة صحيحة إلا بما يوجب المحبة والثقة بينهم، ومن دور الدعاة إلى الله بيان عوامل نماء المحبة بينهم في خصوص العلاقات التي تنتج عن الأعمال وتبادل المنافع ومن أهم هذه العوامل: الوفاء بالموعد، والعدل في المعهود، والصدق في الموجود، وحسن الاستقبال والوداع، والتعاون بأمانة البيان فيما خفي وظهر، وحسن الصحبة في السفر، ومن يخلص ويصدق ويف ويعدل في علاقاته يبارك الله في قوته وقوته، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثًا قَبْلَ السَّاحِلِ، فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ وَهُمْ ثَلَاثُمِئَةٍ وَأَنَا فِيهِمْ، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بَعْضَ الطَّرِيقِ فَنِي الزَّادُ، فَأَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِأَزْوَادِ ذَلِكَ الْجَيْشِ فَجُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ، فَكَانَ مَزُودِي تَمَرٍ فَكَانَ يُقَوِّتُنَا كُلَّ يَوْمٍ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى فَنِي، فَلَمْ يَكُنْ يُصَيِّبُنَا إِلَّا تَمْرَةٌ تَمْرَةٌ، فَقُلْتُ: وَمَا تُغْنِي تَمْرَةٌ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَجَدْنَا فَقْدَهَا حِينَ فَنَيْتُ، قَالَ: ثُمَّ انْتَهَيْنَا إِلَى الْبَحْرِ فَإِذَا حُوتٌ مِثْلُ الطَّرْبِ، فَأَكَلَ مِنْهُ ذَلِكَ الْجَيْشُ ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِضَلْعَيْنِ مِنْ أَضْلَاعِهِ فَنَصَبَا، ثُمَّ أَمَرَ بِرَاحِلَةٍ فَرُحِلَتْ ثُمَّ مَرَّتْ تَحْتَهُمَا فَلَمْ تُصِبْهُمَا<sup>(٢)</sup>.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٠، ص: ٩٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري- كتاب المغازي- باب غزوة سيف البحر، حديث رقم: ٤٣٦٠ (١٦٦/٥).



## المطلب الثاني: العلاقة بين الراعي والرعية

### (الحاكم والمحكوم)<sup>(١)</sup>

أولاً : العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

#### (١) بيان أصول العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

إن من يستقرئ نصوص الكتاب والسنة لا يجد كلمة النظام لفظة ضمن كلماتها في المعنى الشرعي، رغم شيوعها بين الكتاب المعاصرين عن النظم الإسلامية، وهي من أصل (نظم) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: ( النون والطاء والميم: أصلٌ يدلُّ على تأليف شيءٍ وتأليفه. وَنَظَّمْتُ الْخَرَزَ نَظْمًا، وَنَظَّمْتُ الشَّعْرَ وَغَيْرَهُ. وَالنَّظَامُ: الْخَيْطُ يَجْمَعُ الْخَرَزَ )<sup>(٢)</sup> وذلك لأن شريعة الإسلام ليست تأليفاً، إنما هي وحي من الله تعالى على رسوله ﷺ، تشمل الأمر والنهي بما يسعد به البشر في الدنيا والآخرة، ولقد جمعت هذه الأوامر وهذه النواهي في مكان واحد، في صدر الإسلام وظهرت في الوحيين - الكتاب والسنة - ولو أخذ كل فئام من الناس ما يخصهم لانتظمت لهم الآيات ونصوص السنة في المعاني والمباني، على نسق معجز، ونظام كامل عادل، يعجز عن تأليفه كل منظمي أنظمة البشر، لأنه الهدى من الله والملك ملكه والخلق خلقه والأمر أمره، فمن تشريعات الإسلام ما ينظم العلاقات بين الناس، خاصة في ظل الرعاية بين الراعي والرعية، وفي ظل الحاكمية بين الحاكم والمحكوم وفي ظل الرياسة بين الرئيس والمرؤوس، والمعنى لهذا واحد يتمثل في تقدير المسؤولية، وتنظيم المصالح بين أفراد المجتمع المسلم؛ بما يجلب المصلحة ويدفع المفسدة، ويحفظ الضرورات الخمس الكلية: الدين والنفس والعرض والمال والعقل، عن نافع عن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»<sup>(٣)</sup>. ومن دور الدعاة إلى الله بيان أصول هذه العلاقة بين الحاكم والمحكوم، لأنها متى عرفت الحقوق والواجبات التابعة لها، عاش الناس في وئام، وسادت الحبة بينهم على صلاح وخير، وأهم أصول هذه العلاقة:

- (١) السمع والطاعة في المعروف حق الحاكم على المحكوم.
- (٢) العدل في الرعية والقيام بالمسؤولية حق المحكوم على الحاكم.
- (٣) الرجوع إلى الكتاب والسنة في الأحكام حق الحاكم والمحكوم.

(١) العلاقة في المسؤولية والرعاية تبدأ من الأب و الأبناء، وتعلو إلى أن تصل إلى الولاية العظمى في المجتمع من الإمامة والخلافة وما في معناها.

(٢) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ج ٥. ص: ٤٤٣.

(٣) انظر: صحيح البخاري- كتاب الأحكام- باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، حديث رقم: ٧١٤٤ (٦٣/٩) ..

(٤) النصيحة المتبادلة بين الحاكم والمحكوم وفق ضوابط النصح الشرعية والمصالح المرعية.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا<sup>(١)</sup>)

وعند مسلم في صحيحه عادَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ<sup>(٢)</sup> مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ رضي الله عنه فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ. قَالَ مَعْقِلٌ إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ »<sup>(٣)</sup>.

## ٢) بيان عوامل نماء المحبة في العلاقة النظامية بين الحاكم والمحكوم

زيادة المحبة بين الحاكم والمحكوم في الإسلام تعني حياة السعادة للحاكم والمحكوم، وينعكس أثرها على كافة أطراف المجتمع بالتضحية والإيثار والقوة والتماسك، ومن دور الدعاة إلى الله بيان عوامل نماء المحبة بين الحاكم والمحكوم، وتأكيد أثرها على الناس بالمقال والمثال، والحث عليها، ومن أهم هذه العوامل: تعريف الناس أن اختيار الرجل الصالح في الحكم والقوامة والمسؤولية، ينشر العدل ويسعد الناس به، والمساعدة في تأليف القلوب على الحاكم بعد حكمه ومساندة القائم في قوامته والمسؤول في مسؤوليته، والحث على صلاح الرعية لأنه مرتبط بصلاح الراعي، ومتى شعر الحاكم بمحبة المحكومين له وإخلاصهم له ومناصحته بالحسنى، عطف عليهم وسعى فيما يصلح شأنهم، واستمسك بهذه المحبة لأن بها بقاءه في حكمه، ومتى شعرت الرعية بمحبة الراعي لهم؛ ورحمته بهم بما يقدمه لهم من خير، عاضدته ونصرته واستمسكت به عن غيره، ورضيت به حكماً عدلاً محسناً، وأدت الواجب الشرعي له، ولزمت الجماعة ونبذت الرفقة والشقاق، عن ابن الزبير يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يخطب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يخطب، فقال: «أكرموا أصحابي، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم، ثم يظهر الكذب؛ حتى يشهد الرجل، ولا يستشهد، ويحلف الرجل، ولا يستحلف، فمن أحب منكم يُحِبُّهُ الجنة، فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون رجل بامرأة، فإن ثالثهما الشيطان، ومن سرته حسنته، وساءته سيئته، فهو مؤمن»<sup>(٤)</sup>. قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) عبيد الله بن زياد بن أبيه أمير العراق أبو حفص، إلى البصرة سنة خمس وخمسين وله ثنتان وعشرون سنة، وولي خراسان. قتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة سبع وستين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٥٤٤).

(٣) انظر: صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، حديث رقم: ٣٨٠ (١/٨٧).

(٤) انظر مسند الإمام أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة - مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث رقم: ٩١٧٧ (٨/٢٨٤). تعليق شعيب الأرناؤوط على المسند: صحيح لغيره.

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ عِظْمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ<sup>(١)</sup> (أورد البغوي في تفسيره: ( قال ابن مسعود: أجمع آية في القرآن هذه الآية )<sup>(٢)</sup> أمر الله فيها بكل ما ينمي المحبة من العدل والإحسان وإعطاء القرابة حقهم، وهي عن كل ما يسبب الكراهة والعداوة من الفواحش والمنكرات والظلم، والمأمورات فيها والنواهي هي الواجب القائم على كل من الراعي والرعية والحاكم والمحكوم. والتاريخ حافل بالأمثلة والدروس والعبر في هذا الخصوص، وبين أيدي الدعاة إلى الله صفحات من تاريخ الإسلام في العدل والإحسان وحسن العاقبة، وفي الظلم والسوء وسوء العاقبة، وهذه صفحة من الإحسان والعدل والحب. أورد ابن الأثير في أسد الغابة من حكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه خبر استشهاده رضي الله عنه: ( قال: يابن عباس، انظر من قتلني. فجال ساعة، ثم جاء المسجد، فقال: غلام المغيرة بن شعبة. قال: الصنع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله! لقد أمرت به معروفًا! الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكشر العلوج<sup>(٣)</sup> بالمدينة - وكان العباس أكثرهم رقيقاً - فقال: إن شئت فعلت؟ أي: إن شئت قتلنا، فقال: كذبت! بعدما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم. واحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقاتل يقول: لا بأس، وقاتل يقول: أخاف عليه. فأني بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه. ثم أتى بلبن فشربه، فخرج من جوفه. فعرفوا أنه ميت. فدخلنا عليه وجاء الناس يشنون عليه، وجاء غلام شاب فقال: أبشر - يا أمير المؤمنين - ببشرى الله له، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفافاً، لا علي ولا لي. فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: يابن أخي، ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر، انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه - قال: إن وفي له مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عني هذا المال )<sup>(٤)</sup> حب الناس لعمر قام بعدله، وحب عمر للناس من أجله استشهد عمر، يأتيه الناس محبة وينصحهم فرادى وجماعات محبة، وليس ذلك إلا في ظل علاقة الحاكم المسلم بشعبه. وعمر بن عبد العزيز مثل في الزهد والورع والعدل، أنزل في قلوب الناس بذلك، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، قَالَ: كُنَّا بِعَرَفَةَ. فَمَرَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ عَلَى الْمَوْسِمِ. فَقَامَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ. فَقُلْتُ

(١) سورة النحل: ٩٠.

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ، ج ٥، ص: ٣٩.

(٣) (علاج) العين واللام والجيم أصل صحيح يدل على قمرس ومزاولة، في جفاء وغلظ. من ذلك العليج، وهو حمار الوحش، وبه يشبه الرجل الأعجمي. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٢١/٤)

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين أو الحسن علي بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون، القاهرة: دار الشعب، ١٩٧٠ م، ج ٤، ص: ١٧٥.

لَأَبِي: يَا أَبَتِ إِنِّي أَرَى اللَّهَ يُحِبُّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ. قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: لِمَا لَهُ مِنَ الْحُبِّ فِي قُلُوبِ النَّاسِ. فَقَالَ: بِأَبِيكَ أَنتَ سَمِعْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ. ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ عَنْ سُهَيْلٍ<sup>(١)</sup>.

## ثانيا : العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

### (١) بيان أصول العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

ترتفع الناس في المقامات بعضهم على بعض، كما قسمت بينهم معيشتهم، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ابتلاء من الله، قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتِنَاكُمْ)<sup>(٢)</sup> وهذا الاختلاف عام لحكمة الابتلاء، قال ابن كثير في تفسيره: (أي: فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق، والخاص والمساوي، والمناظر والأشكال والألوان، وله الحكمة في ذلك)<sup>(٣)</sup> فكل إنسان يتميز عن الآخر في صفاته وقدراته، وحين تقوم العلاقات بين الناس في تحمل المسؤوليات، يجمع بينهم عامل الإنسانية وحق الأخوة فيه، وعامل التعايش وحق المحبة فيه، فإن الإنسان أخو الإنسان، ويجب أن يعيش في أمان وسلام، ومن واجب الدعاة إلى الله بيان أصول العلاقة الإنسانية بين الناس خاصة بين أصحاب درجات التفاضل خشية أن يظلم القوي الضعيف، أو أن يبطش الحاكم بالمحكوم، أو يغش الراعي الرعية أو يفرط المسؤول في المسؤولية، وبذلك تفقد المحبة بين الناس أو تضعف وتعلو العداوة على حسن الخلق في العلاقات. قال محمد المولى بك: (وعاطفة الحب هي العامل الأقوى في تحسين حال الإنسانية، لأنها تقلل الشرور، وتقوي حمة التقارب بين الناس، وتفتح مصراعي الباب المؤدي إلى الغبطة. وليس من المتعسر إيجاد هذه العاطفة الشريفة فالجميع يعرفون تأثيرها النافع في حياتهم الأسرية وفي نفوس كل من يقاربهم من الناس. وما يشعر به الإنسان، رقيق العواطف من اللذة والهناء مع الحب يتعذر على القلم رسم حقيقته، رسماً صادقا، اللهم إلا إذا كانت نفس الكاتب تفيض بهذا الإحساس)<sup>(٤)</sup> ومن واجب الدعاة إلى الله التأكيد الدائم على مبدأ العدل والمساواة في حقوق الإنسان وحقوق الشعوب مبينا أصل العلاقات الإنسانية ومستدلا بقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب إذا أحب الله عبد أحب إليه إلى عباده، حديث رقم: ٦٨٧٥ (٤١/٨).

(٢) سورة الأنعام: ١٦٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ج ٣، ص: ٣٨٤.

(٤) الخلق الكامل، محمد أحمد جاد المولى بك، المطبعة العثمانية المصرية، ط ١، ١٣٥٥هـ، ص: ٢٦٩.

(٥) سورة الحجرات: ١٣.

## ٢) بيان عوامل نماء المحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم

إن من عوامل نماء المحبة في العلاقة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم، الاحترام والرحمة والتواضع؛ فإن هذه العوامل الثلاثة، تخضع لها سائر العوامل في بناء المحبة، ورفع العداوة، وفي هذا المعنى حفظ الإسلام حرمة الدم المعصوم والعرض المصون والمال المحرز، وكذلك رحم الإنسان الضعيف والحيوان البهيم والطير، وكذلك رسم التواضع والمعروف في حق الصديق والعدو، قال الله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ)<sup>(١)</sup> قال الإمام الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك، يا محمد، من المشركين، الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم، أحدٌ ليسمع كلام الله منك - وهو القرآن الذي أنزله الله عليه - (فأجره)، يقول: فأمنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه - (ثم أبلغه مأمنه)، يقول: ثم رُدَّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبى أن يسلم، ولم يتعظ لما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن - "إلى مأمنه"، يقول: إلى حيث يأمن منك ومن في طاعتك، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين)<sup>(٢)</sup> الإسلام دين الإنسانية، وما بعث نبينا ورسولنا محمد ﷺ إلا رحمة للعالمين، وعلى ذلك جاءت أحكام الدين، وواجب الدعاة إلى الله أن يبينوا هذه العوامل عامة، وفي خصوص الراعي والرعية أبلغ في قيام المحبة وسيادة مبدأ الرحمة والعدل والمساواة، وهي أصل العلاقات الإنسانية. وفي الحياة أولى وبعد الممات أدعى، عن زياد بن علاقة قال: سمعتُ جرير بن عبد الله ﷺ يقول يوم مات المغيرة بن شعبة ﷺ، قام فحمد الله وأثنى عليه وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة، حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن. ثم قال: استعفوا لأمركم، فإنه كان يحب العفو. ثم قال: أما بعدُ فإني أتيت النبي ﷺ قلتُ: أبايعك على الإسلام: فشرط عليَّ «والنصح لكل مسلم»، فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم. ثم استغفر ونزل.<sup>(٣)</sup>، وما يجب أن يعلمه الدعاة للناس الرحمة بين الحاكم والمحكوم، فإن الحاكم والسلطان إنسان مبتلى بالسلطة، يأتيه الشيطان من باب حب الدنيا والهوى، ويقع كغيره بين الضلالة والهدى، ومن واجبتنا النصح له بحكمة، والدعاء له بالصلاح؛ لأن الله عظيم عليم حكيم، وبصلاح الراعي تصلح الرعية، وكما أن الله عفو غفور، يجب على المسلم أن يعفو ويفصح، حتى وإن كان مع من ابتلي بالسلطة؛ حتى تشيع الرحمة في المجتمع المسلم، وأنا جميعاً تحت حكمة الله وعلمه وعدله وعفوه، قال ابن القيم يرحمه الله: (لما علم السيد أن ذنب عبده لم يكن قصداً لمخالفته ولا قدحا في

(١) سورة التوبة: ٦.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ج ١٤، ص: ١٣٨.

(٣) انظر صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم حديث رقم: ٥٧.

حكيمته، علمه كيف يعتذر إليه، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، العبد لا يريد بمعصيته مخالفة سيده، ولا الجرأة على محارمه؛ ولكن غلبات الطبع وتزيين النفس والشيطان وقهر الهوى، والثقة بالعفو ورجاء المغفرة هذا من جانب العبد، وأما من جانب الربوبية فجرى بالحكم وإظهار عز الربوبية، وذل العبودية وكمال الاحتياج، وظهور آثار الأسماء الحسنى، كالعفو والغفور والتواب والحليم لمن جاء تائباً نادماً، والمنتقم والعدل وذي البطش الشديد لمن أصر ولزم المجرة، فهو سبحانه يريد أن يرى عبده تفرد بالكمال ونقص العبد وحاجته إليه، ويشهده كمال قدرته وعزته وكمال مغفرته وعفوه ورحمته، وكمال بره وستره وحلمه وتجاوزه وصفحته، وإن رحمته به إحسان إليه، لا معارضة وأنه إن لم يتغمده برحمته وفضله، فهو هالك لا محالة. فله كم من تقدير الذنب من حكمة! وكم فيه مع تحقيق التوبة للعبد من مصلحة! ورحمة التوبة من الذنب، كشرب الدواء للعليل، ورب علة كانت سبب الصحة (١).

(١) الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية، بيروت : دار الكتب العلمية ط ٢ ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م ص: